

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

منارات

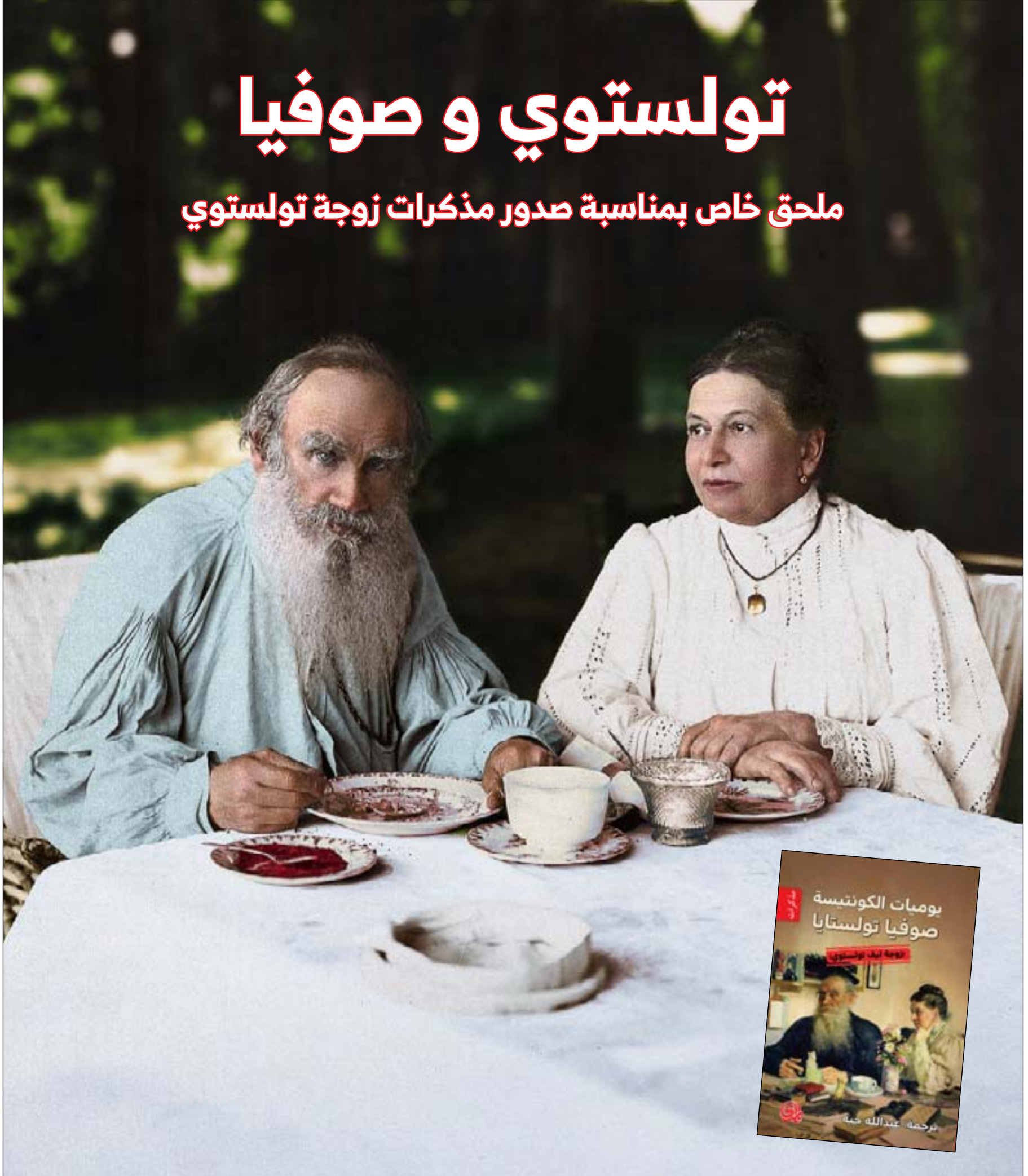
manarat

WWW.almadasupplements.com

العدد (4416) السنة السادسة عشرة - الأربعاء (24) نيسان 2019

تولستوي و صوفيا

ملحق خاص بمناسبة صدور مذكرات زوجة تولستوي



دوريس ليسينغ تكتب عن يوميات زوجة تولستوي

ترجمة: أحمد فاضل

أنتي غالبا ما جسدها البطل لديني وبعضها الكسيس كارنين ، فيها يكشف علل وتناقضات المجتمع الروسي وهو يعيش أرق مراحلها التاريخية ، إنها نعمة إنسانية لا مثيل لها ، وفيها يبشر بالمحبة ويتغاضى عن أساء إليه ويرفض أن يكون أول من يرمي الأتية بحجر ، بيد أنه بقي في مسالة الأزواج مقيدا بحدود الشريعة والقانون .

عندما كانت صوفيا تنتقل في قراءة أعمال زوجها لم يكن يخامرها الشك بأنه كان يعود في وصف المرأة الحقيقية إلى طرق مختلفة فكان يقول عنها بأنها مثل الحمام ، نقي وبريء، ويقول في مواضع كثيرة ، نقي البقي المرأة الحقيقية. غير أنه بحر من التناقضات ، فعلى الرغم من أنه يبشر الناس بعدم وجود فارق بينهم ونزل مع عماله في منزله المترامية الأطراف ، يعمل معهم غير أنه كانت لديه أحكام

مجحفة أحيانا منها إصراره على أن تتبنى زوجته رضاعة الأطفال الفقراء ، بينما هي كانت لها حلمات متشققة وكان من المؤلم إليها أن يطلب زوجها هذا الأمر كما روته في يومياتها ، لم تعرف كيف تتعامل معه بسبب صعوبة فهمه فهو يشعر أنه ديني وأعماله كلها مكرسة للخير بينما هو في حقيقة الأمر يريد شيئاً واحداً فقط الهيمنة ، وعلى الرغم من أنه نجح في أمور كثيرة إلا أنه في الواقع كان متعصبا ويصر على أرائه وكان يقول دائما أنه على حق ، وأمر خدمة أن يناموا على أسرة بينما هو إقترش الأرض ونام على ذلك القريد البار .

صوفيا في يومياتها نقلت أسراراً دقيقة من حياتها تقول في إحدى صفحاتها : (تولستوي لم يكن جيدا وهو يخطو نحو الثمانين من عمره ، فقد كان يهدني باستمرار بتركي وترك الأسرة منا حدا بي يوما أن أقفز إلى إحدى البحيرات لأتخلص بين القلب والعقل.. بين الحب والواجب وما بين القديم والجديد .. في أنا كارينينا قدم زوجي عصارة جهده وفيها الكثير من نفسه ، أرائه ، ومثله وتجاريه الشخصية

أما عن أنا كارينينا فكتبت تقول : (هذه المرة ينحو تولستوي بتاريخ روسيا منحا آخر يختلف جذريا عما قدمه في الحرب والسلام ، فهو هنا يقدم تاريخاً للحياة الاجتماعية ولا سيما حياة منبهم خاصة النبلاء ، تقف في وسطهم أنا كارينينا في صراع بين القلب والعقل.. بين الحب والواجب وما بين القديم والجديد .. في أنا كارينينا قدم زوجي عصارة جهده وفيها الكثير من نفسه ، أرائه ، ومثله وتجاريه الشخصية

في النهاية فر تولستوي من منزله بإتجاه منزل صغير بالقرب من إحدى خطوط السكك الحديدية ووجدوه قد فارق الحياة ، وعاشت صوفيا بعده سنوات طويلة وتطلب الصفح منه لإخفاقاتها معه . هذه المفترت تشبه على وجود حياة رائعة لإمرأة إستثنائية كانت متزوجة من أحد أكثر الرجال إستثنائية في ذلك الوقت ومع كل المشاعر التي حملتها نحوه إلا إنها كشفت الصعوبات عن مآزق المرأة في الماضي وكيف وجدت نفسها في هذه الدفاتر الصغيرة لأن الكلمات التي سطرتها كانت تشعرها بالراحة وتخفف من آلامها ، وهي بالتحالي سجل حافل بكفاحها ومصدر الإلهام لاجيال الحاضر والمستقبل .

× صحيفة التايمز



والثلاثة عشر طفلاً الذين خلفهم تولستوي ، ولهذا راحت تكتب عن هذه الإشكالية التي شغلها قبل ظهور حبوب منع الحمل بما يقرب من قرن من الزمن ، وتناولت أيضا روايات زوجها خاصة الحرب والسلام صوفيا كانت تتوق لو اقع جديد تنمي فيه أفكارها وفنها للتواصل مع الناس ومساعدة زوجها ، وهذه اليوميات هي في الأصل فكرة تولستوي فعندما تزوجها طرح عليها إنشاء اثنين من اليوميات واحدة عليها إنتشاء اثنتين من اليوميات واحدة ملاحظاتها على ما تقرأ والثانية خاصة بها ، والذي كان يلقاها أكثر ومررت عليه كثيرا في يومياتها هو بحثها عن وسيلة تمنع فيها حملها أنها لا تستطيع أن ترعى

وأنه في هذه السن ، ولكن طول حياتي شعرت بالوحدة معه ، إنه لا يذهب للقرنزه معي ، إنه يفضل التفكير بالعرلة أكثر من كتاباته ، إنه لم يتخذ أي مصلحة في أولادي لأنه يرى أن هذا عمل صعب وممل). صوفيا كانت تتوق لو اقع جديد تنمي فيه أفكارها وفنها للتواصل مع الناس ومساعدة زوجها ، وهذه اليوميات هي في الأصل فكرة تولستوي فعندما تزوجها طرح عليها إنشاء اثنين من اليوميات واحدة ملاحظاتها على ما تقرأ والثانية خاصة بها ، والذي كان يلقاها أكثر ومررت عليه كثيرا في يومياتها هو بحثها عن وسيلة تمنع فيها حملها أنها لا تستطيع أن ترعى



فبعد ست سنوات من الزواج بدأت صوفيا وبالتحديد عام ١٨٦٨ تكتب في مفكراتها عن نوع تلك العلاقة والمشارجات التي كانت تحدث باستمرار مع تولستوي ، تقول صوفيا في أول صفحات تلك اليوميات : (يعتريني الضحك لقراءة مذكراتي .. فهناك الكثير من التناقضات كما لو كنت الأتعس بين النساء.. لكن الذي يجعلني أكثر سعادة هو عندما أكون في غرفتي وأصلي من أجل سنوات عديدة أخرى من السعادة عشتها بالرغم من هذا الشجار الذي أكتبه هنا). هذه المجموعة من المفكرات التي سطرته عليها صوفيا إجترحاتها هي ليست



فقط لأفكارها ، ولكن أيضا لأحداث عامة شهدتها مع تولستوي وغطت فيها جميع كتبه الحرب والسلام ، أناكارينينا والعديد من الكتب الأخرى ، في الوقت نفسه تراها في عملها الشاق - كما تعبر عن ذلك - فهي الأم المعنية بكل شؤون منزلها بالرغم من وجود الخادماات ، وجميع أنواع المساعدة التي تقدمها لزوجها أثناء عمله . لكنها تقول : (لماذا أنا غير سعيدة ؟ أنا أعرف كل أسباب معاناتي الروحية : أولا يحزنني أن ... أطفالي ليسوا سعداء كما كنت أرغب . ومن ثم أنا في الواقع وحيدة للغاية. زوجي ليس صديقي ، إنه كان لي حبيب عاطفي في بعض الأحيان ، خاصة

إنها غالبا ما كانت ثورية على طريقتها الخاصة ، كما في موضوع حقوق المرأة : " أنتساء الآن لماذا لم يكن عمه نساءا كاتبات، أو فنانات، أو ملحنات " كتبت في ١٢ يونيو ١٨٩٨. " لأن المرأة وضعت كل عاطفتها وقدرتها ونشاطاتها في أسرتها التي استهلكتها بالكامل- خاصة أطفالها. لم يتسن لها تطوير قدراتها، وتضمر موهبتها وما تزال جنينية وعندما تنتهي من تعليم أطفالها توقف الروح الفنية داخلها وبحلول ذلك الوقت يكون الأوان قد فات، إنها منهكة تماما .

والمؤكد أن الألوان فات صوفيا، امرأة مليئة بالمشاعر المكتفة. والزوجة المخلصه. المرأة التي عشقت الموسيقى والفنون وعليها أن تتعامل مع عصاها من المجانين. إنها ترى زوجها يتسحب بعيدا عنها وتركها في عزلة عند الخامسة صباحا يوم ٢٨ أكتوبر ١٩١٠. لقد سرق تولستوي من منزله المحببة، تاركا زوجة في الثامنة والأربعين من عمرها وسوف يموت في محطة صغيرة للسكك الحديدية ٨٠ ميلا من المنزل، محاطا بتلاميذه المقربين، رحلة تولستوي الدرامية تنتهي من تلقاء نفسها متجاهلة إلى حد كبير صوفيا، إنها مرتبكة جدا في تسجيل تفاصيل حياتها ولكن مئات الصفحات تشهد على روح امرأة عظيمة عاشت بالقرب من أحد أكبر كتاب العالم على مر العصور. إنها تتفهم جيدا الثمن الذي دفعته مقابل هذا الامتياز.

جاي باريني/عن صحيفة الغاردين

الشيبيانيا في صححة (تانيا)؛ لقد ارتبكت واحمر وجهها خجلا لكنها كانت مسرورة. حياة عائلة تولستوي كانت جيدة (تعرف من خلال هذه المدونات شخصيات كانت مقربة من الأسرة وغيرهم). حفلات العشاء والشاي والنزهات ورحلات الصيد الخاص لصوفيا)، والسير لمسافات طويلة عبر الريف وركوب الخيل. إنهم يمضون الشتاءات في مدينة موسكو حيث يمتلك تولستوي منزلا هناك. كل شيء كان عظيما الذاتي ونظر إليه باشمئزأنا وأحاط نفسه بمجموعة من الأشخاص يتقاسمون الفكر نفسه.

من جانبها لم تقف صوفيا خارج دائرة زوجها. "إن أتباعه ليس لهم جانبية، ليس بينهم أحد يبدو طبيعيا وأغلب النساء في حالة هستيريا دائمة" غالبا ما بدأ يارد المشاعر معها، كما دوت في ٥ فبراير ١٨٩٥. خرجت مع زوجها في جولة صيد وكانت تدعو (ليوفوشكا) تحببا: كان ليوفوشكا واقفا وراء شجرة... وسألته لماذا توقف عن الكتابة. تطالع حولي ونظر إلي بطريقة كوميدية وقال "ليس ثمة من يسمعون غير الأشجار يا عزيزتي" إنه يدعو كل أحد بعزيزي أو عزيزتي مع تقدمه في العمر)، لذلك أقول لك، كما ترين، قبل أن أكتب شيئا جديدا يجب أن التهب حيا- وهذا انتهى الآن!!

" يا للعار" قلت ثم أضفت على سبيل المزاح " يمكنك الجديد!!

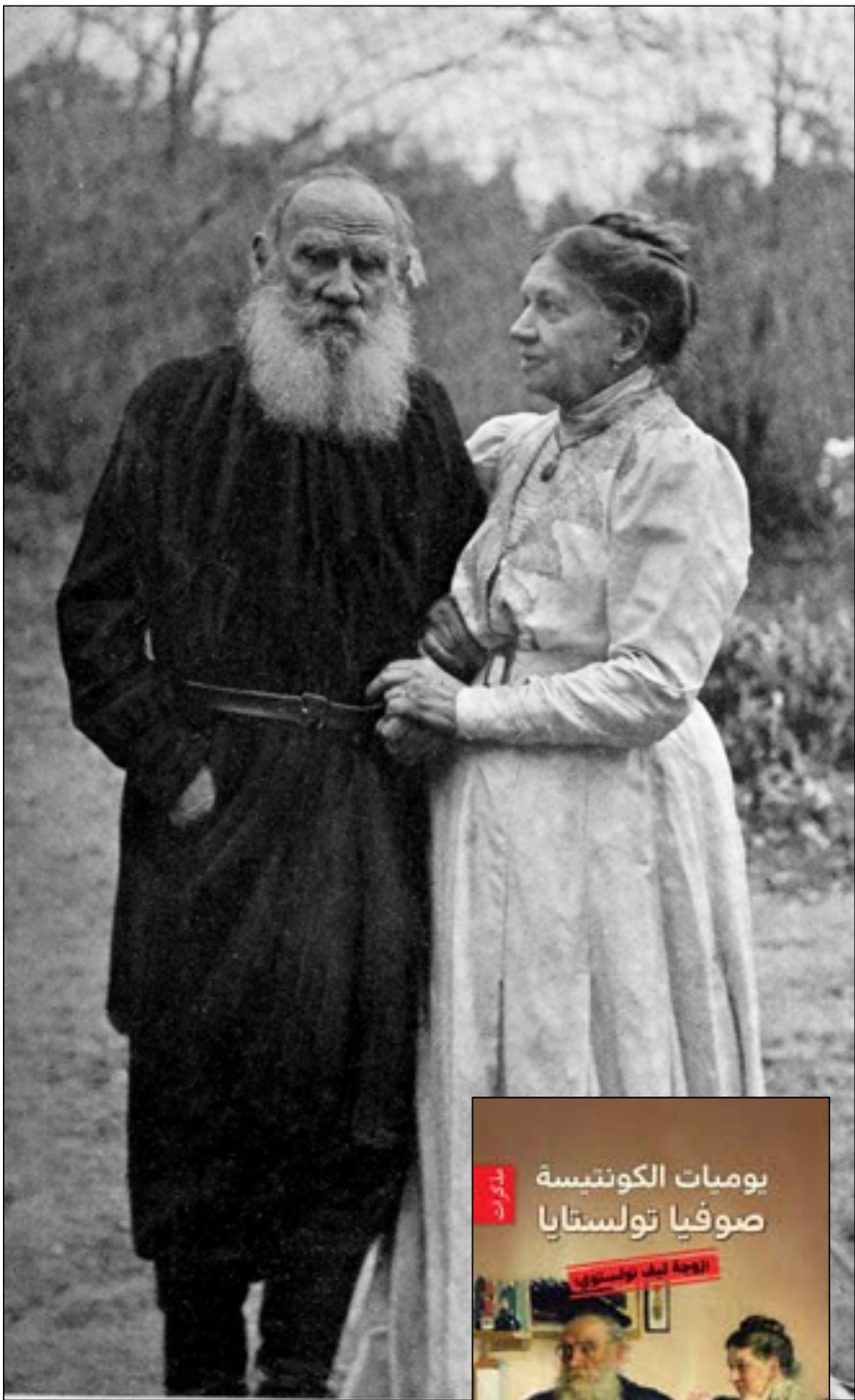
لقد كانت رحلة حياتها مثيرة، لكنها أثبتت أنها في مستوى المهمة، قدر لها زوجها نكاهها وحسن تدبيرها، وهي بدورها أحببت ليس شخصه وحسب وإنما صيته وسمعته وتعتبرها ميزة مميزة أن تعيش بالقرب من رجل، شهرته تنمو شيئا فشيئا، المشكلة أن تولستوي وفي منتصف عمره حدثت له مفارقات ونقلات حاسمة، حيث أدار ظهره للكتابة الخلاقة وأصبح كعمل دين ثم مضى في هذا الاتجاه حتى بات قديسا أكثر منه رجل دين، محاطا بتلاميذه من كل أنحاء العالم (بمن فيهم غاندي).

لقد شكل مسيحيتها الخاصة، والأسوأ من كل ذلك- من وجهه نظر صوفيا- حينما هدد بالتخلي عن جميع ممتلكاته بما في ذلك حقوقه في مؤلفاته للشعب الروسي. إنها دراما نفسية التي ظهرت عليه. لقد كانت معركة صوفيا مع تلاميذ تولستوي الذين يريدون التوغل في روح تولستوي العميقة.

ازدادت مذكراتها حمة في ١٨٨٠ و ١٨٩٠ والعقد الأخير من حياة تولستوي (١٩٠٠ - ١٩١٠) وجعلت من هذه القراءة مروعة كما في تدوينها يوم ١٩ نوفمبر ١٩٠٣: ذهبت إلى غرفة (زوجي) هذا المساء بينما كان يستعد للنوم، أدركت أنني لن أسمع كلمة لطيفة أو محببة منه الآن وإلى وقتي الحاضر هذا. الذي توقعته أصبح حقيقة، زوجي المليء بالعاطفة التي قد ماتت، لا للصدقة التي لم تكن سابقا والتي لن أجدها الآن. هل هي كذلك؟ هذه الحياة ليست لي.

ليس ثمة مكان أضع فيه طاقتي وشغفي بالحياة؛ لا اتصال بالناس، لا الفن، لا العمل، لا شيء غير الوحدة والعزلة طوال اليوم.

ترجمة : عبدالسلام الغرياني



يوميات الكونتيسة صوفيا تولستايا

لقد نون الكثير منهم أبق التفاصيل عن حياة الرجل العظيم حتى أنها موجودة الآن في مجلدات عديدة، سجلت كل شيء تقريبا من بداياته حتى وفاته، وتولستوي نفسه له مدوناته الخاصة بحياته. الجميع كتب؛ طبيبه الخاص، السكرتاريا، تلاميذه، أولاده، والأهم مذكرات أو يوميات زوجته، صوفيا أو الكونتيسة صوفيا.

بدأت بتدوين يومياتها في السادسة عشرة من عمرها، ولكن تسارعت أكثر بعد ١٨٦٢ عندما تزوجت تولستوي، إنها لم تتوقف عن الكتابة حتى وفاتها عام ١٩١٩، في الوقت الذي هددت فيه الثورة البلشفية بالاستيلاء على ٤٠٠ فدان من الأرض حيث عاشت أكثر من نصف قرن بها.

كان ثمة اجتماع ليبحث أفضل السبل للدفاع عن المزرعة الضخمة ضد النهب" كتبت في أواخر يومياتها " لم يتقرر شيء. العربات، الثيران، والناس، يتدفقون على طول الطريق إلى تول" كل شيء أحبته مهدد بالدمار. يخدر تولستوي من طبقة النبلاء وله ممتلكات ضخمة و عقارات وكذلك كتب مشهورة تحمل اسمه. لقد سافر إلى الغرب وعاش حياة صاخبة ومعقدة ثم قرر الاستقرار مع فتاة عذراء في كل شيء تبلغ التاسعة عشرة من العمر، التي ولدت له أخيرا ١٣ طفلا، وساعدته في عمله (لقد نسخت بيدها الحرب والسلام وكذلك أنا كارينينا، عدة مرات)، وكانت المشرقة على من عته الكبيرة.

لقد كانت رحلة حياتها مثيرة، لكنها أثبتت أنها في مستوى المهمة، قدر لها زوجها نكاهها وحسن تدبيرها، وهي بدورها أحببت ليس شخصه وحسب وإنما صيته وسمعته وتعتبرها ميزة مميزة أن تعيش بالقرب من رجل، شهرته تنمو شيئا فشيئا، المشكلة أن تولستوي وفي منتصف عمره حدثت له مفارقات ونقلات حاسمة، حيث أدار ظهره للكتابة الخلاقة وأصبح كعمل دين ثم مضى في هذا الاتجاه حتى بات قديسا أكثر منه رجل دين، محاطا بتلاميذه من كل أنحاء العالم (بمن فيهم غاندي).



إنها ترى نفسها محاطة بـ"هذيان المجانين" كل الحديث الذي يدور حولها عن وحدتها والمقاومة السياسية وحياتها كنباتية لا تأكل اللحم، لقد أصبح لزوجها أتباع، تجمهروا حوله، خيَّبوا خارج مزرعته، لإجراء

الكونتيسة والقيصر وتولستوي

عبدالله حبه



وكان فارق السن بين الزوجين كبيرا إذ كان ليف قد تجاوز سن ٣٤ عاما، وكابد المشاق في الحياة من الإفلاس بسبب الخسارة في لعب القمار ومعاشرة أفراد لا يعرفون سوى اللهو والقصف ومعاشرة العجوز، ومن ثم الاعتكاف في الضيعة المورثة عن أبيه والمعروفة باسم "ياسنايا بوليانا". ولهذا كانت صوفيا تنظر إلى زوجها بإعجاب ومنحت كل مشاعرها وقدراتها الثقافية له ولعمله الأدبي، وبقيت طوال حياتها تستنسخ وتعيد إستنساخ رواياته ومسرحياته وكتبه ومقالاته وتتولى حتى إعطاء بعض الملاحظات لتغيير أقسام معينة منها، فمثلا إنها أعادت إستنساخ رواية "الحرب والسلام" ثلاث مرات، وجادلته بحدة لدى كتابة رواية "سوناتا كريستس"، وإعتبرت عملها المجهذ ذاك بالإضافة إلى واجباتها كأم لثلاثة عشر فردا من أولاد وبنات (توفي أربعة منهم في الصغر) أمرا بجدليه وضعتها كزوجة لرجل عبقري، كانت صوفيا اندريفنا

هناك من يقول إن وراء كل عبقري امرأة ، وربما يصح هذا الكلام بالنسبة لكثير من العباقرة في مختلف الأزمان ، وقد اعترف حتى إيفان تورجينيف بأنه كتب جميع رواياته بعد علاقة عشق كانت تسيطر على جميع حواسه وأفكاره. ولكن علاقة الكاتب الروسي الكبير ليف تولستوي بزوجه الكونتيسة صوفيا اندريفنا كانت علاقة من نوع آخر، وتبدو مأساوية لحد ما فيما يخص حياتها معه على مدى نصف قرن. وقد كتبت صوفيا في عام ١٩٢٣ تقول: "ليسامحني الناس لكوني ، ربما ، لم أكن قادرة على أن احمل على كتفي الضعيفة في أعوام الشباب عبء المسؤولية الرفيعة وأن أكون زوجة عبقري وإنسان عظيم".

قد تركت انطباعات سلبية لديه ، لاسيما حين شاهد إعدام احد المجرمين بالجيولتين في إحدى ساحات باريس. وأعتبر الشعب الروسي وتقاليده أكثر مصداقية من حيث رفض العنف ومحبة القريب وغير ذلك من المبادئ المسيحية. لذا سرعان ما انهارت الحركة التولستوية " بعد ملاحقة السلطات لأفراها وهروب تشيرنكوف الساعد الامين لمؤسسها إلى بريطانيا مع جميع أرشيف الكاتب. وتحفل قصة لجوء صوفيا اندريفنا زوجة الكاتب إلى القيصر الكسندر الثالث راجية رفيع الحظر على نشر المؤلفات الكاملة لتولستوي صفحة مهمة من سيرة حياة تولستوي إذ عكست مدى وقاء المرأة لزوجها وحرصها على الدفاع عنه، فقد اعتكف تولستوي بعد فرض الحظر على مؤلفاته في ضيعةه "ياسنايا بوليانا" ولم يرغب في عمل أي شيء. عندئذ إستغلت زوجته(سكرتيرته) صلاتها العائلية في البلاط من أجل مقابلة القيصر(بالرغم من معارضة تولستوي لهذه الفكرة) لكي تقنعه بأن رواية "سوناتا كريستس" والأعمال الأخرى الأخيرة المحظورة من مؤلفات زوجها لا تشكل أي خطر على الأمن العام ، وأن الموظفين في وزارة الداخلية بالغوا في تصوير هذا الخطر. وفعلا نجحت في نهاية المطاف في لقاء القيصر الذي وصفت واقعه في يومياتها لاحقا. وكتبت في يومياتها تقول: في الساعة ١١ مساء ، وكنت قد أويت إلى فراشي قبل لحظات ، وردت رسالة قصيرة من قريبتني زوسيا بأن القيصر يطلب مني عبر الأميرة شيريبينيفا هذه المرة بالمجيء في اليوم التالي في الساعة الحادية عشرة ونصف صباحا إلى قصر أنتيتشكوف. وإتطلقت إلى هناك في الساعة الحادية عشرة والرابع. كان قلبي يدق بنبض ضعيف حين ولجنا باحة قصر أنتيتشكوف. وقابلني الجميع عند البوابة بحفايا الإحترام ، وأجبتهم بإنحناة، وعندما دخلت الدهليز وسألت الحاجب فيما إذا أمر القيصر بإستقبال الكونتيسة تولستايا ؟ أجاب بالنفي. وسألت آخر فكان الجواب بالنفي

أيضا . وعندئذ تم إستدعاء ساعي القيصر . فقاء شاب أنيق المظهر يرتدي بدلة قرمزية مطعمة بالذهب ، وعلى رأسه قبعة ثلاثية عريضة . فسألته : "هل يوجد أمر من القيصر بإستقبال الكونتيسة تولستايا؟" فأجاب : " طبعاً ، تقضلي ، يا صاحبة السعادة ، لقد عاد القيصر لتوه من الكنيسة وسأل عنك". وكان القيصر قد شارك في ذلك اليوم في طقوس تعميد الأميرة العظيمة يلز أفينا فيودوروفنا التي تحولت إلى العقيدة الأرثوذكسية. إنطلق الساعي إلى الأعلى فوق سلم شديد الانحدار مغطى بسجاد أخضر ساطع غير جميل . وأنا أتبعه . كنت أهزل بسرعة لا تتناسب مع قواي ، وحينما إنحنى الساعي وانصرف وجدت نفسي في صالة الإستقبال ، فشعرت بتدقق الدم بعنف إلى قلبي ، مما جعلني أفكر بأنني سأموت فورا. كنت في حالة نفسية فظيعة، وكان أول ما خطر ببالي إن قضيتي لا تستحق حياتي : وسيأتي الساعي الآن ليدعوني إلى مقابلة القيصر ، فيجد جثة هامدة أو أنني لن أستطيع التقوه بكلمة واحدة . إن القلب يدق بعنف بحيث لا أستطيع التنفس والنطق أو الصراخ. بعد أن جلست قليلا أردت أن أطلب قدح ماء من أحد ما لكنني لم أستطع ذلك. وعندئذ تذكرت إن الجياد حين تنطلق بها بسرعة لحد الإجهاد يجري إقتيادها ببطء لكي تستعيد قواها . فنهضت من الديوان وأخذت أمشي بهدوء. لكن لم تصبح حالتي أفضل. جلست مجددا وصرت أفكر بأبائنا ، وكيف سيتلقون نبأ وفاتي. ولحسن الحظ فإن القيصر حين علم بأنني لم أصل بعد إستقبل شخصا آخر ، وتوفر لدي ما يكفي من الوقت لكي أستعيد أنفاسي وأستريح. فالتكلمت نفسي وأطلقت زفرة ، وفي هذه اللحظة عاد الساعي مجددا وأعلن : " صاحب الجلالة يدعو سعادة الكونتيسة تولستايا إليه " فتدبعت. وولدى إستوغ مكتب القيصر إنحنى وانصرف. ليستقبلني القيصر عند الباب ، ومد لي يده ، فأنتحيت ، بإيماءة خفيفة ، فبدر قائلا: أرجو العذرة يا كونتيسة لكوني أرغمك على الإنتظار طويلا، لكن نشأت ظروف جعلتني لا أستطيع ذلك من قبل. فأجبته بقولي:-- أنا في غاية الإختنان أصلا لكون جلالتك قد تفضلت بإستقبالي. ثم بدأ القيصر يتحدث بكلمات لا أتذكرها عن زوجي، وبعده ماذا أطلب منه بالذات. وشرعت في الحديث بكل ثبات وهودء-- يا صاحب الجلالة ، في الفترة الأخيرة بدأت الأحظ في زوجي ميلا إلى الكناية الإيبيه كالسابق، وقد قال لي منذ فترة قريبة : "إني إبتعدت كثيرا عن أعمالنا الدينية - الفلسفية ، بشكل يجعلني أستطيع كتابة عمل أدبي، وينولد في رأسي من حيث الشكل والحجم موضوع يشبه رواية "الحرب والسلام" . لكن تزداد المواقف المحزنة ضده أكثر فأكثر. فمثلا جرى حظي المجلد ١٣ ، ومنعت سرحية ثمار التتوير ، ولو أنه الآن أعطى الأمر بتقديدها في المسارح الإمبراطورية... كما منعت "سوناتا كريستس" . ففعلت القيصر على ذلك بقوله: -- للأسف إن أسكل هذه الرواية متطرف جدا ، لدرجة إن المرء لا يمكن أن يعيظها لأبنائه لقرائها. هنا .. فقلت: إن شكل هذه القصة متطرف جدا ، ولكن الفكرة الأساسية هي أن المثل الأعلى بعيد المثال دوما. وإذا وضع المثل الأعلى بشكل غير للغاية ، فإن الناس سيكفونون عفيفين في الحياة الزوجية. وأذكر بأنني عندما قلت للقيصر إن ليف ضحية اندريفنا أرادت حماية زوجها من ملاحقة السلطات بأية وسيلة حتى لو بلغ الأمر اللجوء إلى القيصر ، بالرغم من الأخلافت بينها وبين زوجها بشأن مستقبل أولادها وتخليه عن النشاط الأدبي، والذي كان يهتم حسب رؤيته الفلسفية - الدينية بمصائر الشعب كله وليس بأفراد عائلته فقط.

"العائلات السعيدة كلها متشابهة، ولكن كل أسرة تعيسة هي فريدة في تعاسها". ربما تكون هذه أشهر جملة افتتاحية لرواية في تاريخ الأدب العالمي. تلك هي الجملة التي افتتح بها ليو تولستوي رائعته الخالدة "أنا كارينينا". وتلك هي الجملة التي تنطق أصدق ما تنطق على عائلة تولستوي نفسه، أو هي ذلك للتحديد، في شقها الثاني. بهذه الكلمات بدأ برنامج إذاعي لم تتجاوز مدته الدقائق الخمس على إذاعة أمريكية. تتناول البرنامج لقاء مع مؤلفة أمريكية نشرت مؤخرا كتابا صغيرا عن تولستوي وزوجته، أو صوفيا وزوجها. في هذا الكتاب هي الأهم. يقدم الكتاب ، وعنوانه "أغنية بلا كلمات .. فتوغرافيا الكونتيسة صوفيا تولستوي ويومياتها". الصور الفوتوغرافية التي التقطتها الزوجة واليوميات التي اشتركت هي وصاحب "الحرب والسلام" في كتابتها. ولأن وقت البرنامج كان قصيرا لتولستوي كان يلقط شخصيات رواياته من بين أفراد عائلة زوجته الأرستقراطية. وتبدل على ذلك بشخصية ناتاشا، وهي بطلنة نروة تولستوي "الحرب والسلام" ، مشيرة إلى أن مصورها هي شقيقة صوفيا الصغرى، وتدعى ناتيا. تقول لي بندافيد فال إن بداية زواج ليو وصوفيا كانت "بالغة الروعة، فقد كانا متحابين حبا جنونيا ككله الزوج في عام ١٨٦٢، وكانا يشتركان في كل شيء، حتى دفتر اليوميات. ولكنهما كانا يشتركان في ذلك الدفتر لكي يقول لبعضهما البعض ما لا يجزأ أي منهما على قوله للأخر . وتضيف لي بندافيد فال قائلة إن صوفيا كانت تنسخ مخطوطات أعمال تولستوي، وتبدي رأيها فيها، وهو من جانبها كان يصغي إلى هذه الآراء بامتنان حقيقي . غير أن خمسين عاما من الزواج لا يمكن أن تضي على هذه الوبيرة، فكان نصف القرن ذلك محتشدا بعلاقة تجاذب وتنافر، محبة وكراهية. لقد كان ليو وصوفيا عاطفيين للغاية، ولذلك كان حبهما عنيفا وغنيا وعميقا وفعمعا، وكذلك كراهيتهما. ويبدو لأسف أن الغلظة كانت لكراهية في نهاية المطاف . ففي آخر العمر، بدأت صوفيا تخوف من أن يكون ليو قد كتب وصية جديدة. وذات يوم، سمع ليو صوفيا وهي تفتش مكتبه بحثا عن الوصية فانتابته غضب عارم. ورأى في ذلك القشة الأخيرة، فمزك زوجته، وفي الغطار كان منه مرض شديد مات على إثره. هذه المحبة السريرة بررت مؤلفة الكتاب أن تقول "كلام من الزوجين كان بحاجة إلى الأخر، وما كان له أن يعيش حياة مليئة ودافئة بدون الآخر .

عن الموقع الالكتروني المترجم احمد شافعي

يوميات صوفيا تولستوي



أحمد شافعي

بالضبط. فالرجل حول زوجته الكونتيسة إلى سكرتيرة. كانت صوفيا لزوجها مساعدا لا يقدر بثمن، فهي التي كانت تنسخ له مخطوطات رواياته، ولأن لا يقدر هذه المهمة الجسيمة بحق تقديرها، فعليه أن ينظر وحسب إلى "الحرب والسلام" المؤلفة. وهي مجرد رواية بين روايات تولستوي. من مئات الصفحات. ولكن صوفيا، وهي الكونتيسة سلبية الأرستقراطية الروسية، لم تكن تحتفل أفكار زوجها فيما يختص بالإصلاح الإجتماعي وضرورة النزوع إلى الحياة البسيطة. كما كانت مشغولة باهتماماتها الخاصة بالموسيقى والتصوير الفوتوغرافي. وسرق منها أهلها أيضا تقول لي بندافيد فال "رئيسة قسم التصوير في منشورات ناشيونال جيوغرافيك ومؤلفة كتاب "أغنية بلا كلمات: فتوغرافيا الكونتيسة صوفيا تولستوي ويومياتها" إن تولستوي كان يلقط شخصيات رواياته من بين أفراد عائلة زوجته الأرستقراطية. وتبدل على ذلك بشخصية ناتاشا، وهي بطلنة نروة تولستوي "الحرب والسلام" ، مشيرة إلى أن مصورها هي شقيقة صوفيا الصغرى، وتدعى ناتيا. تقول لي بندافيد فال إن بداية زواج ليو وصوفيا كانت "بالغة الروعة، فقد كانا متحابين حبا جنونيا ككله الزوج في عام ١٨٦٢، وكانا يشتركان في كل شيء، حتى دفتر اليوميات. ولكنهما كانا يشتركان في ذلك الدفتر لكي يقول لبعضهما البعض ما لا يجزأ أي منهما على قوله للأخر . وتضيف لي بندافيد فال قائلة إن صوفيا كانت تنسخ مخطوطات أعمال تولستوي، وتبدي رأيها فيها، وهو من جانبها كان يصغي إلى هذه الآراء بامتنان حقيقي . غير أن خمسين عاما من الزواج لا يمكن أن تضي على هذه الوبيرة، فكان نصف القرن ذلك محتشدا بعلاقة تجاذب وتنافر، محبة وكراهية. لقد كان ليو وصوفيا عاطفيين للغاية، ولذلك كان حبهما عنيفا وغنيا وعميقا وفعمعا، وكذلك كراهيتهما. ويبدو لأسف أن الغلظة كانت لكراهية في نهاية المطاف . ففي آخر العمر، بدأت صوفيا تخوف من أن يكون ليو قد كتب وصية جديدة. وذات يوم، سمع ليو صوفيا وهي تفتش مكتبه بحثا عن الوصية فانتابته غضب عارم. ورأى في ذلك القشة الأخيرة، فمزك زوجته، وفي الغطار كان منه مرض شديد مات على إثره. هذه المحبة السريرة بررت مؤلفة الكتاب أن تقول "كلام من الزوجين كان بحاجة إلى الأخر، وما كان له أن يعيش حياة مليئة ودافئة بدون الآخر .



manarat

WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير

محرر

مدى

رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

سكرتير التحرير

رفعة عبد الرزاق

الاخراج الفني

خالد خضير



طبعت بمطابع مؤسسة المدى

مدى

للاعلام والثقافة والفنون

صوفيا تولستوي تسجل يومياتها



بعد مرور مائة عام على وفاة الكاتب الروسي الكبير ليون تولستوي يولي الناشر الغربيون اهتمامهم بمذكرات زوجته صوفيا تولستوي، صوفيا انديافنا، ابنة الطيب التي كان تولستوي قد تزوجها وهي في الثامنة عشرة من عمرها حيث أنجبا ١٣ طفلاً بقي منهم تسعة على قيد الحياة، وإذا كانت السيدة تولستوي قد كتبت قصة حياتها في «يوميات»، فإن هذه هي المرة الأولى التي يتم نشرها فيها على الصعيد العالمي وليس الروسي فقط حيث لم يتم نشرها في الاتحاد السوفيتي ولا في روسيا بعد كاملة.

في مطلع القرن العشرين كانت صوفيا اندريافنا أمضت القسم الأكبر من حياتها إلى جانب مؤلف «الحرب والسلام»، ليون تولستوي، الروائي الشهير وأحد أعلام الفكر الروسي، ومنذ ما يقارب المائة سنة قررت «صوفيا تولستوي» الشروع بكتابة قصة حياتها، بصيغة يوميات، وذلك باعتبارها شخصية «لها اعتبارها»، وليس فقط من حيث أنها زوجة تولستوي، وهذا ما تعبر عنه بالقول إنها أرادت أن «تستعيد» تلك الجزء من ذاتها الذي جرى حجبها إلى جانب «الرجل العظيم».

لقد كانت «حاجة» صوفيا تولستوي إلى «اليوميات» تكمن في ذاتها، مسألة جوهرية بالنسبة لها، وهذا ولو كان الثمن هو إبراز تناقضاتها «وهي كثيرة»، إلى جانب ما كان يعترها بين فترة وأخرى من «صلف وغيره»، إنها لا تكتفي أبداً بالوصف، بل تقدم ما يشبه «التحليل النفسي الذاتي» في محاولة لفهم «نفسها»، وهذا ما تفصح عنه بأشكال عديدة.

وما يكتشفه القارئ لدى صوفيا تولستوي هي أنها كانت امرأة «مصحوقة»، أحاسنا من قبل عبقرية زوجها، وأنها كانت أحياناً أخرى «فريسة»، إحساس عبق بالحرم.

هذا خاصة تحت زحمة مطالب الحياة اليومية التي كانت تتطلّبها منها أسرته وأطفالها العديدين. ولعل من أهم فوائد هذا الكتاب أن صاحبه تقدم، عبر توصيفها لمسار حياتها اليومية، الكثير من المعلومات عن بعض الجوانب «الحميمية» لدى ليون تولستوي، ومن خلال التفاصيل يتعرّف القارئ على معنى أن تكون المرأة زوجة رجل شهير، وتبذل خاصة ملامح المسار الفكري لتولستوي ككاتب يحمل الكثير من التناقضات الذي «تمزقه» تناقضاته وصراعه الداخلي المستمر.

ورغم ما قيل، وهو كثير، عن تولستوي فإن هذا الكتاب «اليوميات»، بقلم زوجته ورفيقة حياة صوفي، يقدم ما هو جديد عنه وعنها. كتبت: «لقد أمضيت حياتي كلها وأنا أسخر كل ما أمكته من قدرات لأجل زوجي، وصحيت بكل شيء من أجل أسرته، لكن كان ذلك هو ما أتطلع إليه، لقد كان قدرتي ووجهتي في الحياة، أو لعلمي أستطيع أن أقول ذلك بشكل أفضل، إنها إرادة الله».

كانت صوفي ابنة مدينة مدللة وقد التحقت عند الزواج بليون تولستوي في منزله الريفي على مسافة ٣٠٠ كيلومتر من العاصمة موسكو حيث عاشت معه هناك ٤٨ سنة، وتشير أن نوعاً من سوء التفاهم قام بينها وبين زوجها منذ سنوات الثمانينات في القرن التاسع عشر، كان ذلك على خلفية إعجابها به ككاتب روئي بينما توجه هو



عالم تولستوي الكبير في "يوميات صوفيا"

«كلا، لقد فات الأوان». كان معروفاً أن صوفيا ذاتها كانت تمتلك موهبة محترمة للكتابة، ومن دون جهد، رسمت صوراً مختلفة وعديدة للخيول والحمرين أمامنا الأفق، كان الأطفال في احتياج شديد، وعلى الفور اندفعوا بسرعة صاخبة يثبون فوق الحمبر ليمتلئوا.. شربنا الشمبانيا في صحة تانيا؛ وتزودت وجنتاهما، لكنها كانت جد مسرورة.

الحياة بين عائلة تولستوي كانت ممتعة وحلوة؛ حفلات العشاء، الشاي، الحفلات الراقصة، الزهات، حملات الصيد، حفلات الكونسرت، العروض المسرحية وخاصة بالنسبة إلى صوفيا العروض الأوبرالية، ثم المنشي الطويل أو ركوب الخيل في الريف، كانت العائلة تمضي الشتاء في البيت المديني الكائن في موسكو. كان كل شيء يتسم بالاثارة، ولكن في الأخير كان هناك الميل إلى الانغماس في الذات الذي نبذته تولستوي ونبذ مثل هذه الحياة، فضلاً أن يحيط نفسه باناس قريين إلى أفكاره.

من طرفها، لم تكن صوفيا تطيق حلقة زوجها، «يا لهم من نماذج غير محبوبة، أتباع ليف نيكولايفيتش، ما من شخص طبيعي واحد بينهم، وأغلب النساء هستيريات»، كثيرا ما كان تولستوي يبدو بارداً حيالها، كما تشير هذه الملاحظة التي دونتها في الخامس من شباط ١٨٩٣، عندما نهبت وزوجها التي تطلق عليه الاسم الحميمي ليوفوشكا إلى رحلة صيد طيور الشنقب، «كان ليوفوشكا يقف خلف إحدى الأشجار.. وسألته لماذا لم يعد يكتب. طأطأ رأسه وتطلع حوله بطريقة أقرب إلى الكوميديّة وقال: لا أحد يستطيع سماعنا عدا هذه الأشجار، كما اعتقد يا عزيزتي - كان ينادي كل شخص يا عزيزي حينما أقدم به العمر - لذا سأخبرك بأنني قبل أن أكتب أي شيء جديد، أحضج أن التهاب بالبح، وهذا ما انتهى الآن، «يا للعب، قلت مضيفة بروح النكتة، يمكنك أن تقع في جبي، إن أحببت لكي تستطيع أن تكتب شيئاً ما، قال:

كانت هناك أربعة مشاعر في الهواء الطلق.. مرحنا كثيرا وأكلنا كثيرا، وكان الطقس رائعاً. عدنا إلى البيت وكانت لتتو قد بدأت لعبة الكرات الخشبية لكن طاورا من الخيول والحمرين ملاً أمامنا الأفق.. كان الأطفال في احتياج شديد، وعلى الفور اندفعوا بسرعة صاخبة يثبون فوق الحمبر ليمتلئوا.. شربنا الشمبانيا في صحة تانيا؛ وتزودت وجنتاهما، لكنها كانت جد مسرورة.

الحياة بين عائلة تولستوي كانت ممتعة وحلوة؛ حفلات العشاء، الشاي، الحفلات الراقصة، الزهات، حملات الصيد، حفلات الكونسرت، العروض المسرحية وخاصة بالنسبة إلى صوفيا العروض الأوبرالية، ثم المنشي الطويل أو ركوب الخيل في الريف، كانت العائلة تمضي الشتاء في البيت المديني الكائن في موسكو. كان كل شيء يتسم بالاثارة، ولكن في الأخير كان هناك الميل إلى الانغماس في الذات الذي نبذته تولستوي ونبذ مثل هذه الحياة، فضلاً أن يحيط نفسه باناس قريين إلى أفكاره.

من طرفها، لم تكن صوفيا تطيق حلقة زوجها، «يا لهم من نماذج غير محبوبة، أتباع ليف نيكولايفيتش، ما من شخص طبيعي واحد بينهم، وأغلب النساء هستيريات»، كثيرا ما كان تولستوي يبدو بارداً حيالها، كما تشير هذه الملاحظة التي دونتها في الخامس من شباط ١٨٩٣، عندما نهبت وزوجها التي تطلق عليه الاسم الحميمي ليوفوشكا إلى رحلة صيد طيور الشنقب، «كان ليوفوشكا يقف خلف إحدى الأشجار.. وسألته لماذا لم يعد يكتب. طأطأ رأسه وتطلع حوله بطريقة أقرب إلى الكوميديّة وقال: لا أحد يستطيع سماعنا عدا هذه الأشجار، كما اعتقد يا عزيزتي - كان ينادي كل شخص يا عزيزي حينما أقدم به العمر - لذا سأخبرك بأنني قبل أن أكتب أي شيء جديد، أحضج أن التهاب بالبح، وهذا ما انتهى الآن، «يا للعب، قلت مضيفة بروح النكتة، يمكنك أن تقع في جبي، إن أحببت لكي تستطيع أن تكتب شيئاً ما، قال:

مفترسين»، كل الأحاديث التي تدور من حولها كانت أحاديث عن العزوبية والطعام النباتي والمقاومة السياسية، كان لزوجها أتباع، تجمعوا حوله وضربوا الخيام خارج عزبته، يرومون إجراء المقابلات والنقاط الخاصة، تولستوي نفسه كان يحتفظ بمجلدات من اليوميات، طبيبه، سكرتيره، أتباعه، أطفاله وبشكل خاص زوجته، كلهم احتفظ بدفتر يوميات خاص به، ولكن من بين كل هؤلاء كان أهم من كتب من يوميات هي صوفيا أو الكونتيسة تولستوي.

بدأت صوفيا تحتفظ بيومياتها منذ السادسة عشرة من عمرها، لكنها أخذت تكتبها بتوق شديد بعد عام ١٨٦٢، حينما تزوجت تولستوي، لم تتوقف بعد ذلك عن كتابتها حتى وفاتها عام ١٩١٩، عندما هدتها الثورة البلشفية بالاستيلاء على يومياتها بوليانا، وصنفتها تولستوي التي تبلغ مساحتها أربعة آلاف هكتار والتي عاشت فيها أكثر من نصف قرن «كان هناك اجتماع لتقرير كيفية الدفاع عن ياسنايا بوليانا ضد عمليات النهب»، كتبت ذلك في آخر تدوين لها: «لم يقر شيء حتى الآن، العربات، الثيران والناس، يتدفقون أسفل الطريق باتجاه تولا».

كان يبدو امتيازاً لها العيش مع رجل تزداد شهرته اتساعاً كلما تقدم به العمر، ولكن، عند منتصف حياته، تحول تولستوي إلى ما يشبه «الغلايينيين» الذين كانوا يكتبون لكاتبه الروايات. لقد تطور إلى نوع من راهب، مكتسباً الانتفاع من أنحاء العالم، من ضمنهم المهاتما غاندي. أثناء ذلك شكّل تولستوي رؤيته الخاصة للمسيحية، لاغيا مظاهرها الإمبريالية، أما الأنسواء من كل ذلك، كما تقول زوجته صوفيا، فإنه قد أخذ يهدد بالانتزاع عن كل ما يملك، حتى حقوق طبع أعماله، إلى الشعب الروسي. من هنا أصبحت «يوميات صوفيا» شديدة الانفعال خلال الثمانينيات والتسعينيات من القرن التاسع عشر، وامرأة مرعبة خلال العقد الأخير من حياة تولستوي (١٩٠٠ - ١٩١٠).



وجدت صوفيا نفسها محاطة بمجموعة «مجانين



نحو الكتابات الفلسفية وانتج خطاً سياسياً قريباً من الفلاحين، بل وتخلّى عن «القبه الارستقراطي»، وأعلن عن نيّته التخلي عن حقوقه كمؤلف، لصالح الشعب. وما تؤكده صاحبة هذه «اليوميات»، هي أنها رغم خلافها الفكري والحياتي مع تولستوي لم تتخل أبداً عن «معرّكتها»، من أجل أن «تستعيد موقعها» في حياة زوجها، وتشير أنه كان من جهة «يحاول الإبتعاد، أحياناً بينما لم تكن تريد هي سوى العيش بجانبه». ومن خلال هذه «اليوميات»، يتعرّف القارئ أيضاً على الظروف التي شهدت «ولادة» الأعمال الروائية الكبرى لليون تولستوي، وتشير المؤلفة أن أكثر الفترات سعادة في حياتها بالقرب من زوجها كانت خلال «الفترة الجنينية» لرواية «الحرب والسلام».

عن الغارديان

عن الشرق الأوسط

تولستوي ونظرية الزواج

علي حسين



يوميات الكونتيسة صوفيا تولستايا

ازوجة ليف تولستوي

مذكرات

الخطاب الذي أعده ووجد صوفيا جالسة مع شقيقاتها ، انتظر ساعات حتى انسحبت الشقيقتان فمد يده الى صوفيا بالخطاب قائلاً : انه ينتظر ردها ، فذهبت مسرعة الى غرفتها لتقرأ : " اي صوفيا أصبح الأمر لا يُطاق ، لقد ظللت أقول لنفسي طيلة الأسابيع الماضية انني سأبوح الان ، ومع ذلك كنت اشعر بالحرج ، وكنت اخرج من البيت حزينا ساخطا على نفسي أسأل ما عساي ان اقول لو انني تكلمت .. لكن اذا كنت تحسبن نحوي بأي عاطفة فأرجوك ان توافقني على ان تكوني زوجة لي ، ولكن اذا كنت تحسبن ادني شك فقولني لا ، ناشدتك الله ان تفكري ملياً في الأمر "

وقفت صوفيا جامدة وفي يدها الخطاب ، وعندما شاهدتها شقيقتها الكبرى على هذه الحال صرخت : " اخبريني ماذا بك ؟ فقالت بهدوء : ان الكونت طلب يدي ، فصرخت الاخت قائلة : ارفضيه ، كان تولستوي خلال هذه الفترة ينتظر والقلق قد سيطر عليه يحاول ان يسترق السمع على ما يجري داخل الغرفة الى ان سمع وقع أقدام حيث خرجت صوفيا لتقول له جملة واحدة : " نعم .. ثم دخلت مسرعة الى غرفتها .

الغيرة القاتلة

كانت اول كلمة كتبها تولستوي في يومياته بعد الزواج قوله : " حظ من السعادة لا يُصدق " ، لكن هذه السعادة لم تدم طويلا اذ سرعان ما كدر صفوها الغيرة ، فنجد صوفيا تكتب في مذكراتها : " ان ماضي زوجي كله مخيف حتى انني لا اعتقد اني سوف أقبله " ثم تكتب بعد ايام : " إن زوجي مريض ، معتل المزاج وليس يحبني ، إنه يفتر يوما في حين اني ازداد له حبا وانه يعتقد اني لا أحبه " ، وفي يومياتها هناك غيرة واضحة من بطلات رواياته فتكتب لتصف شعورها : " لقد قرأت اوائل بعض كتبه ، وكنت اشمئز واضيق كلما قرأت له شيئا عن الحب والنساء "

كانت صوفيا تتنقل في قراءة أعمال زوجها ، ولم يكن يخامرها الشك بأنه كان يحاول ان يرسم صورة للمرأة الحقيقية التي في مخيلته ، كان تولستوي من جانبه قد وجد مفهوما جديدا للحب عند الالماني شوبنهور ففي تلك السنوات تفرغ لقراءة الفلسفة وأعجب اعجابا شديدا بكتاب شوبنهور " العالم ارادة وتمثلا " والذي يفند فيه شوبنهور جميع مبادئ الحب الرومانسي ، وهو يعتقد ان جميع الشعراء والكتاب الرومانسيين قد أخطأوا في سعيهم الى امثلة الحب من حيث هو الشهوة الانسانية ، فمثل هذا الرأي يُعد وهما مطلقا ، اما الحقيقة فهي ان الحب هو انعكاس لإرادة عمياء في الحياة وغريزة لاعقلانية لاستمرار النوع البشري .

لقد عشت في هذه الصومعة وسأعود اليها " . ويكتب بعد ايام : " لقد سَطرت خطابا سوف أرسله اليها في الغد ، يا إلهي أمنحني القوة ، أخاف ان أموت ، فان مثل هذه السعادة تبدو مستحيلة " .

ونهب في مساء اليوم التالي وفي جيبي

ما كنت ارغب فيه فقد هربت الى غرفتي " . يكتب في يومياته : لقد بقيت يومين افكر على افراد في امر صوفيا .. وقلت لنفسي لا تدفع نفسك حيث الشباب والجمال والشعر والحب ، فان لهذه ايها الشيخ من هم اصغر منك ، ان موضوعك في صومعة من صومعات العمل ،



في ١٣ ايلول عام ١٨٦٢ ، كتب تولستوي في يومياته : " انا احب حبا ، لم احبه في حياتي من قبل ، انا مجنون وسأطلق الرصاص على نفسي اذا سارت الامور على ما هي عليه ، لا يمكن وقف عواطفني نحوها " ، وفي اليوم التالي كتب " كل يوم يمر اعتقد فيه اني لن احتمل المزيد من شعوري بالسعادة ، سأذهب في الغد اليهم وسأصارع لهم بكل شيء وإلا فأني أنتحر؟ "

كانت هي الابنة الثانية لعائلة يعرفها ويتردد عليهم دوما ونراها تكتب في يومياتها في ٢٣ آب ١٨٦٢ : " اني خائفة لو دلت تلك التجربة على رغبة خاطفة في الحب وليست حبا دائما "

كان هو حذرا في مسألة الحب والزواج وكان يعتقد ان الارتباط بامرأة مدى العمر شيء رهيب ، كانت علاقته الاولى مع نساء كثيرات لا تتعدى اياما وتنتهي باستثناء علاقته بامرأة رفيعة تدعى " اكسينيا " اثرت عليه تأثيرا كبيرا دامت علاقته بها مدة طويلة ، وقد كتب عنها فيما بعد قصة الشيطان التي يروي فيها حكاية انسان يخضع لعبودية جسده ، لكنه وجد نفسه في أشد الحاجة الى امرأة ، وجعل يفكر في زوجته المستقبلية وقد اشترط فيها شروطا خاصة الى ان وقع في حب صوفيا ونراه يكتب في يومياته ٢٣ آب ١٨٦٢ : " اني خائف ، ماذا لو دلت تلك التجربة على رغبة خاطفة في الحياة ، وليست حبا حقيقيا دائما " لكنه عاد ليكتب في ايلول من نفس العام : لا اعتقد ان مستقبل حياتي مع زوجة يضارع ما يبدو لي الان مع صوفيا .. المستقبل السعيد الهادئ الخالي من المخاوف "

كانت صوفيا الابنة الوسط لطبيب الماني الاصل " بيرز " يعمل في بلاط القيصر ، تزوج من الانسة ليوبونوف ابنة احد ملاك الاراضي ، كانت اول زيارة لتولستوي لعائلة الطبيب الالماني سنة ١٨٥٦ ، في تلك الفترة كان قد انتهى من كتابة قصص من سيبستول وكانت صوفيا واخواتها يشعرون بسعادة حين يقوم تولستوي بقراءة الاجزاء الاولى من قصة عهد الطفولة ، ونراه يعجب بالفتيات ويقول لاخته انه لو تزوج يوما فستكون عروسه من عائلة الدكتور بيرز ، وكانت الاخت تعتقد ان الابنة الكبرى ليزا خير من تصلح عروس لشقيقها الكاتب ، لكنه يخبر شقيقته انه لا يحبها ونراه يكتب في يومياته : " ليزا تغريبي ، لكني لن ادع ذلك يحدث ، فان مجرد الإغراء الذي لا يصحبه اي شعور ما غير مجد " . فقد احس ان صوفيا الاقرب الى قلبه ن وذات يوم تقترب منه على استحياء لتطلب منه ان يرقص معها فيجيبها بابتسامة : " اني اليوم اكبر سنا من ان افعل ذلك " . ونراها تكتب في مذكراتها ان الكونت تولستوي رفض الرقص لكنه طلب منها طلبا غريبا " ان أغني ولما كان ذلك آخر